ميراث الأنبياء

تفريغ درس

استنباط الأحكام من آيات الصيام

لفضيلة الشيخ

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

حفظه الله تعالى

قام بها فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

www.miraath.net

www.miraath.net

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ للهِ والصّلاة والسّلام عَلى رَسول الله وعلَى آله وَصحْبه وَمَن والاهُ.

وبعد:

فيَسُّرُ مَوْقِعُ مِيرَاث الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُقَدِّمَ لَكُمْ تَسْجِيلًا لِلدَّرْسِ الثاني من:

اِسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَام مِنْ آيَات الصِّيَام

لِفضيلة الشّيْخ : عُبيْد بْن عَبْدِ الله الجابريّ

- حَفظه الله تعالى –

وَالَّذِي أَلْقَاهُ فِي الثَّالث مِنْ شَهْر رَمَضَان لِعَام أَلْف وَأَرْبَعمِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد الله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، معاشر السامعين من المسلمين والمسلمات هأنا ذا ألتقي بكم هذه الليلة في درسِنا الثالث من دروسنا المتتابعة إن شاء الله بعنوان استنباط الأحكام من آيات الصيام، وعبر موقع ميراث الأنبياء السلفي.

والآية التي سأُذكركموها هذه الليلة هي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّـهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ها هنا مبحثان:

المبحث الأول: في قوله "شهرُ رمضان" كره بعضُ أهل العلم قول: "رمضان" واستحبوا أن يقال: "شهرْ رمضان" دخل" شهرُ رمضان" إلى غير ذلك، فرأوا الإضافة كما هو نص هذه الآية " شهرُ رمضان" والتحقيق أنه يستوي الإضافة وعدمها فيجوز قول: "دخل رمضان" "نحنُ في رمضان" هذا رمضان" كما يجوز " هذا شهرُ رمضان" فكلا التعبيرين صحيح ويشهدُ لحذف المضاف أحاديث كثيرة منها قوله – صلي الله عليه وسلم –: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فَأَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ)) رواه مُسلم من حديث أبي أيوب – رضى الله عنه – وقوله – صلى

الله عليه وسلم -: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) والأحاديثُ في هذا الباب مستفيضة إن لم تكن متواترة تواتُرًا معنويًا.

المبحث الثاني: في ميِّزاتِ رمضان، من تتبع السنة الصحيحة عرف قدر هذا الشهر ومكانته من الإسلام، وأعظم خصيصة وميزة لهذا الشهر المبارك، سدد اللهُ فيه أقوالنا وأقوالكم وأعمالنا وأعمالكم هي كونه أُنزل فيه القرآن وذلكم أن الله – عز وجل – اصطفى هذا الشهر لإنزال أفضل كتبه وأعظمها، والمُصدق لها والمهيمن عليها، والناسخ لكل ما سبق شرع محمد – صلى الله عليه وسلم – من الشرائع، من شرائع الحق فآل أمرُ العباد والبلاد إلى هذه الملة المباركة، ملة مُحمدٍ – صلى الله عليه وسلم – فقد أخرج أحمد وغيره أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى في يد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – صحيفة من التوراة فعُرف في وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الغضب وقال:

((أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي)) إلى غير ذلكم من الأحاديث المتواترة التي هي نصٌ صريح في عموم رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنه لا شرع الآن سواها ولهذا قرر علماء الأصول مستنبطين من الكتاب والسنة [أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد في شرعنا نسخه] وبهذا يمكن القول أن شرع السابقين من النبيين والمرسلين – عليهم الصلاةُ والسلام – بالنسبة لنا

قسمان:

* شرعٌ نسخه شرعُ مُحمدٍ -صلى الله عليه وسلم - فهذا ليس شرعًا لنا ولا يجوز لنا الحكم به ولا التحاكم إليه ولا استعماله ولا التعبد لله به وإن كنا نؤمنُ أنه كان شرعًا حقًا فنسخه ربنا - سبحانه وتعالى - بشرع مُحمدٍ - صلى الله عليه وسلم -.

* والثاني: وهو قليلٌ جدًا ما بقي من شرع هؤلاء النبيين والمرسلين - عليهم الصلاةُ والسلام - ولم ينسخه شرع محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو شرعٌ لنا.

فإذا تقرر هذا فلننتقل إلى ما أسلفناه من ذكرِ مميزات هذا الشهر في قولنا له مميزات، نعم له مميزات وخصائص نعددُ ما يحضرنا منها، مستدلين بما تيسر لنا من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

فالخصيصةُ الأولى: وهي أعظمُها كما تقدم إنزال القرآن فيه وهذا يدل على شرفه وعظم مكانته ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وهاهنا شيئان:

الأول: متى أُنزل بالتحديد؟

والجواب:

أن الإنزال يحتملُ أمرين:

⇐ الأمر الأول: بداية تنزل القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلى هذا الإشارة لقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾

وبينها – جل وعلا – في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وجاء عن ابن عباس – رضى الله عنه –" أن القرآن أُنزِل إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم بعد ذلك أُنزل منجمًا "، فتحصل أن إنزال القرآن كان في هذا الشهر سواءً القول ببدء تنزلِهِ على النبي – صلى الله عليه وسلم – أو إنزاله جملة، هذان هما الشيئان:

1. إنزاله جملة.
2. وإنزاله منجما.

فإنزاله منجما هذا خلال ثلاث وعشرين سنة وهي مدةُ نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم– في الحِقبتين، المكية وهي ثلاث عشرة سنة، والمدنية وهي عشر سنين، هذه الميزة الأولى.

⇐ الميزة الثانية: أن صيام هذا الشهر هو الواجب العيني على كل مسلم ومسلمة كما سيأتي في ذكر وجوب صومه قضاء، هو الواجب الوحيد، وجوبًا عينيا، وما وجب من الصوم سواه فهو لأمرٍ عارض، كصوم النذر، والكفارة، وبدل دمِ المتعةِ والقِران في الحج، أو قضاء الصوم عن ميتٍ مات وعليه صيام كما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ))

⇐ الميزة الثالثة: أن الله خصه بليلةٍ مباركة التعبد لله – عز وجل – فيها إخلاصًا لله، ومتابعةً لرسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – هي بِألف شهر خلت منها تلكم الليلة واستمعوا قال – جل وعلا –: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ

مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قال أهل العلم تُسلمُ الملائكة على كل مسلم ومسلمة.

⇐ الميزة الرابعة: مغفرةُ الذنوب لمن صام هذا الشهر بقيد قال – صلى الله عليه وسلم – ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) وهل هذا عامٌ في صغائر الذنوب وكبائرها، أو هو خاصٌ بالصغائر؟

فالظاهر هو الثاني، وبرهان ذلكم قوله – جل وعلا –: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ وفي الحديث الصحيح: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، مَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ)) فكبائر الذنوب لابد فيها من التوبة، والصغائر تُكفرها الأعمال الصالحة بشرطِ اجتناب الكبائر، وأخرج مسلم من حديث عثمان بن عفان – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ الصَّلاةُ الْمَكْتُوبَةُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَرُكُوعَهَا وَخُشُوعَهَا، إِلا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ))

⇐ الميزة الخامسة: مغفرةُ الذنوب بقيام ليله قال – صلى الله عليه وسلم –: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) فهذه خصيصة ليست في غير ليالي رمضان، وإن

كان قيام الليل للمُسلم مأجورًا عليه السنة كلها.

وهاهنا مسألة كم ركعةً قيام الليل؟

صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من حديث عائشة – رضي الله عنها– قالت: ((مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً)) وصح ثلاث عشرة ركعة، من حديث، وصح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((قَامَ من الليل ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً)) والحديث في الصحيح وله قصة فيتحصلُ من هذه الأحاديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقومُ تارةً من الليل في رمضان وغيره بإحدى عشرة ركعة، وتارة بثلاث عشرة ركعة، ولعل الأول هو الغالبُ على فعله – صلى الله عليه وسلم – في القيام.

وصح من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سُئل عن قيام الليل فقال ((صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى [يعني ركعتين ركعتين] فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُصْبِحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى)) فالجمعُ بين هذا الحديث وما تقدمه من أحاديث أن الأولى، هو الاكتفاء بإحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وتجوز الزيادة على ذلك، ووجه جواز الزيادة في قوله ((صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى)) ولم يحد لها حدًا ويؤكده ((فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُصْبِحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى))

ويتفرع عن هذا مسألة أخرى

وهي أيهما أفضل صلاةُ التراويح وصلاة التهجد وغيرهما في البيت أو المسجد؟

الجواب:

صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((يا أيها الناس صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ فإن أَفْضَلَ صَّلاةِ الرجل في بيته إِلا الْمَكْتُوبَةَ)) وصح عنه – صلى الله عليه وسلم – عند أبي داود من حديث زيد بن ثابت – رضى الله عنه –: ((صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ خيرٌ له من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة)) فعلم بهذا أن قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)) أنه يُرادُ به المكتوبة فصلاة المرءِ النوافل كلها في البيت أفضل، ويعترضنا هنا شيئان:

أحدهما: قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ، أوقيام ليلِهِ)) وهذا الحديث أخرجه أحمد وغيره من حديث أبى ذر الغفاري – رضي الله عنه – **وقد جاء في هذا الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قام بهما الليل حتى كاد يفوتهم الفلاح، وقيل وما الفلاح، قيل لرجل وما الفلاح أو قيل لأبي ذروَمَا الْفَلَاحُ ؟ قَالَ السُّحُورُ فقلنا يا رسول الله لو نفلتنا بقية ليلتينا** – فذكره، فالجمع بينهما أن من كان لا ينشط للتهجد والتراويح في بيته لكثرة الشواغل وعدم تمكنه من صلاة النافلة هذه في بيته فصلاته مع الإمام أفضل، ومن كان ذا قدرة وذا استعداد

وذا تفرغ يستطيع أن يتنفل في بيته فصلاته النافلة ومنها التهجد والتراويح في بيته أفضل والله أعلم.

الاعتراض الثاني: كيف تصنعون بفعل عمر – رضي الله عنه – حيث جمع الناس على قارئ واحد، استشار الصحابة، لو جمعتُ الناس على قارئ واحد وكانوا يصلون في آخر زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر – رضي الله عنهما – أوزاعًا يعني متفرقين، فيصلي الرجل وحده ويصلي الرجل ومعه الرجل والرجلان، فقال لو جمعتهم عل إمامٍ واحد أو على قارئ واحد فجمعهم على قارئ واحد فخرج – صلى الله عليه وسلم – ينظر حالهم فأعجبه الصنيع، المسلمون يصلون التراويح أو قيام الليل حول قارئ واحد، "فقال نعمت البدعةُ هذه والتي ينامون عنها أفضل" فقوله نعمت البدعةُ هذه يقصد به البدعة اللغوية لا الشرعية، لا البدعة التي تضاد السنة، وبرهان ذلكم، أن اجتماع الناس لصلاة الليل في المسجد على رجلٍ واحد كانت في عهد رسول الله – صلى الله عليه سلم – فقد صح عنه – صلى الله عليه وسلم –: ((أنه صلى بالناس ليالٍ ثم في الليلة الثالثة أو الرابعة احتجب عنهم فلما انصرف من صلاة الصبح قال مكانكم قال قد علمت صنيعكم البارحة وما منعني من الخروج إليكم إلا إني خشيت أن تفرض عليكم)) وهذا من كمال شفقته – صلى الله عليه وسلم – بأمته ورحمته بهم ودفع الحرج والعنت والمشقة عنهم.

⇐ ومن ميزات هذا الشهر أنه إذا دخل فُتِحت أبواب الجنة وغُلقت أبواب النار وصفدت الشياطين، وذلكم حتى يتفرغ العباد للتقرب إلى ربهم – سبحانه وتعالى – بمراضيه من

فعل أوامره واجتناب نواهيه.

وإن قال قائل كيف ونحنُ نرى كثير من المهوسين والأشقياء يزيدُ بلاهم وشرهم في رمضان؟

الجواب:

أن الشياطين مصفدة موثقة، لكن جندهم من بني آدم ممن غلبت عليهم الشقوة من شياطين الإنس هؤلاء باقون على ما هم عليه، الشيطان قبل أن يُصفد أو الشياطين قبل أن تصفد يعني توثق، قد استحوذت عليهم وصدقت عليهم الظن، فغلبت عليهم الشقوة والله – سبحانه وتعالى – قد قضى ذلكم ضمن ما قضاه قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، فمن كان من أهل الهدى والصلاح والنجاح والفلاح فهو مما سبق في علم الله – سبحانه وتعالى – وجرى به قلمه وكتبه في اللوح المحفوظ بعلمه، ومن كان من أهل الفسق والفجور والعصيان في رمضان وغيره فهو كذلك فلله – سبحانه وتعالى – الحكمةُ البالغة والحُجة الدامغة، لا يُسأل عما يفعل والخلق يُسألون، فالسعادة والشقاوة مما قضته حكمته – سبحانه وتعالى – ونفذت به مشيئته فنسأله – جل وعلا- أن يصنعنا وإياكم على عينه، وأن يغلب علينا الهداية، وأن يجنبنا مسالك الشياطين ونزغاتهم إنه – سبحانه وتعالى – عزيزٌ حكيم لطيفٌ خبير على كل شيءٍ قدير.

هذه بعض مزايا هذا الشهر، وتعدد المزايا والخصائص، من الحوافز التي تعلق القلوب بهذا الشهر وتقوي العزائم وتنشط النفوس المتشوفة إلى السعي في تحصيل كل عملٍ صالح يقربهم من

الله – سبحانه وتعالى – فرضًا كان أو نافلة ومن سعة رحمة الله – سبحانه وتعالى – وكرمه وسعة فضله، أن جعل المحافظة على الفرائض والاستكثار من النوافل سببٌ من أسباب نيل العبدِ محبة الله – سبحانه وتعالى – وقد تقدم ذلكم فيما مضى من دروس ولله الحمدُ والمنة.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ أُنزِلَ: هذه الجملة لابد من ذكر أمور في الحديث عنها لبيان معناها وما تدل عليه

فأولا: في قوله: ﴿ أُنزِلَ﴾ هذا دليل على إثبات صفة العلو لله – سبحانه وتعالى-: (أُنزِلَ) فلا يقال هذا إلا فيما هو علو حسي ولا يُراد به العلو المعنوي إلا بقرينة تصرف هذا الكلام إليه وقد ثبت لله – سبحانه وتعالى- بنص تنزيله وصحيح سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – عن إثبات علو الذات لله – سبحانه وتعالى- ومن آي الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أي أمنتم الذي في السماء أن يعاقبكم على عنادكم وتكذيبكم، فالسماء هنا هي العلو، فهو فوق السماء المبنية كما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع في يوم عرفة: ((أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، قَالُوا: نَعَمْ بلغت وأديت ونصحت فقالها ثلاثا وكان يرفع إصبعه إلى السماء ويقول: اللَّهُمَّ اشْهَدْ)) فلو لم يكن لله- سبحانه وتعالى- علو الذات وهو أنه فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته لم يصنع النبي - صلى الله عليه وسلم- هذا، وهذا كذلك ثابت بالإجماع بإجماع أهل السنة.

قال الأوزاعي -رحمه الله- كنا نقول والتابعون متوافرون إن الله فوق عرشه بائن من خلقه يعني ليس حالا فيهم ولا شيء فيهم حالا فيه وهذه حكاية إجماع لم ينكر من سمع هذا من التابعين - رحم الله - الجميع إلى غير ذلكم من السنن الصحيحة السنن الإقرارية والقولية والفعلية، فمن السنن الإقرارية قصة معاوية بن الحكم السلمي -رضي الله عنه- وملخصها أن له جارية كانت ترعى غنمه بسلع فجاء الذئب فخطف واحدة من الغنم فلما جاء سيدها أخبرته فغضب فلطمها ثم ندم بعد ذلك وأخذته الرحمة وتأثر من فعله هذا فجاء إلى النبي- صلى الله عليه وسلم - فأخبره الخبر فتمعر وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - غضبا أن لطم تلك الجارية سيدها في وجهها فقال: يا رسول الله إن علي رقبة فهل أعتقها؟ ((قال: جئني بها أنظر أمؤمنة هي فجاء بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لها أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: مَنْ أَنَا قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله وفي رواية لما قال لها: أين الله؟ أشارت بأصبعها إلى السماء، وقال: من أنا؟ أشارت بأصبعها إليه ثم أشارت إلى السماء والمعنى أنك أنت رسول الذي في السماء رسول الله- صلى الله عليه وسلم - فكأن شهدت الشهادتين أو جاءت بما تضمنته الشهادتين فقال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)) فبان بهذا التقرير نعم هذا من السنن الإقرارية ومن السنن كذلك القولية بالإضافة إلى ماتقدم قوله- صلى الله عليه وسلم-: ((أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ)) هذه القولية، فتحصل عندنا سنة قولية في هذا الباب سنة قولية وسنة فعلية وهو صنيعه مع المسلمين في الموقف في عرفة وسنة إقرارية وهي قصة الجارية وكذلك هذا ثابت بالإجماع كما تقدم وهو ثابت

أيضا بالعقل السليم وثابت بالفطرة السليمة فما من داع يدع ربه-سبحانه وتعالى- إلا ويتجه قلبه إلى الأعلى إلى العلو كما أنه أيضا يرفع يديه إلى السماء حتى أطفال المسلمين فطروا على هذا، فباءت المبتدعة بخسران وبطلت حجتهم وهناك نوعان من العلو لا نزاع فيهما وهما علو القدر وعلو القهر.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ بنص هذه الآية وما في معناها مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ﴾الآية، بان أن القرآن تنزيل ربنا – سبحانه وتعالى- منزل فإذا ضممت إليها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّـهِ﴾ بان لك شيء آخر أيها المسلم وهو أن القرآن تنزيل ربنا وكلامه ويقوي ذلكم أيضا حينما تضم إليها أو إليهما آية البقرة: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّـهِ﴾ الآية نعم، ثم إذا ضممت إليها آية الشورى وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ تحصل لديك أنه تنزيل ربنا وكلامه ووحيه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ هذه جملة أوصاف أخرى للقرآن للكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

الوصف الأول هدى للناس وفي أول سورة البقرة قوله تعالى: ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهنا ﴿وهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ في آية البقرة السابق ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

والجمع بين هذه الآيات ممكن فتخصيص المتقين لأنهم هم أهل الانتفاع به حقيقة وذكر الناس وذكر الناس تنبيه إلى أن القرآن هدى دلالة لجميع الناس نعم وقوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ تنبيه إلى أن أهل الإسلام جملة برهم وفاجرهم هم أهل الهداية فالهداية هدايتان:

* هداية دلالة وإرشاد وهذه قد بلغت من شاء الله أن تبلغه نعم.

* وهداية توفيق وقبول وهذه يختص بها أهل الإيمان، فمن كان برا تقيًا كانت هدايته هداية توفيق تامة وقبول تام ومن كان فاجرًا من أهل الإسلام نعم ولم يستحل الكبائر عن علم وعمد وذكر يعني اجتمعت فيه الشروط والموانع نعم لأن من استحل محرمًا من استحل أمرًا محرمًا معلومًا تحريمه من الدين بالاضطرار عامدًا عالمًا متذكرًا مختارًا هذا يكفر نعم، لكن من ركب أمرًا محرمًا مع اعتقاده تحريم ذلك ولو كان عالمًا عامدًا فهو فاسق فهذا الصنف من الناس ما يفعله من طاعات الله – سبحانه وتعالى– مخلصًا فيها متابعًا لنبيه – صلى الله عليه وسلم – فهدايته في هذا الوجه تامة وما يصيبه من فجور وعصيان وفسق فهدايته من هذا الوجه غير تامة.

وهذا ينبهنا إلى أمر يتكلم فيه أهل السنة عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فعند قوله: ﴿أُولَـٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قالوا إن الأمن أمنان:

♦ أمن من الدخول في النار فهذا في حق من لقي الله موحدا على التوحيد الخالص والسلامة من المعاصي فهذا آمن من دخول النار فأمنه تام.

♦ والثاني أمن ناقص وهذا في حق من لقي الله على التوحيد لكن كان مصرًا على كبيرة أو كبائر فهذا أمنه ناقص وذلكم أنه آمن من الخلود في النار غير آمن من دخولها.

وهذا نعم فالأمن التام ثمرة الهداية التامة والأمن الناقص ثمرة الهداية الناقصة وهذا التفصيل أو أن الفاسق الملّي مؤمن بإيمانه ناقص بكبيرته وهو من أولياء الله الولاية الناقصة يدل له أولا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّـهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ فهو تحت المشيئة أعني من لقي الله مصرًا على كبيرة، ومن الأحاديث المتواترة الصحيحة قوله- صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ لَقِيَ اللهَّ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللهَّ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ)) ولهذا يقرر علماء الإسلام أن من مات على التوحيد مقطوع له بالجنة أي على سبيل العموم، ولا يعين أحد إلا من عينه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكن من عقيدتهم في هذا رجاء الثواب لمن كان محسنًا ومات على ذلك، وخوف العذاب للمسيء الذي مات على فسق وفجور.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾ ويمكن أن يقال أن الناس قسمان:

• قسم قامت عليه الحجة بهداية الدلالة كما قال – صلى الله عليه وسلم -: ((والذي نفسي بيده لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلا دَخَلَ النَّارَ)) فمن مات على الكفر سواء كان كفره ردة أو كان كفره أصليًا كالنصراني

واليهودي والمجوسي لكنه سمع دين محمد – صلى الله عليه وسلم – فلم يسعَ إليه بلغته هداية الدلالة وقامت عليه الحجة في ذلك نعم إلى غير ذلكم من الأحاديث المتواترة، وبهذا يعلم بطلان القول بأنه لا يقال لليهود والنصارى كفار قول باطل وقد بسط هذا في غير هذا الموضع فليراجعه من شاء.

- القسم الثاني: من جمع الله له بين الهدايتين هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والقبول على ما تقدم تفصيله والله أعلم.

قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فالقرآن كلام ربنا ووحيه وتنزيله وهدايته لخلقه فهو سبيل الهداية للخلق نعم، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هنا جمع سبحانه وتعالى بين سبيلين من سبل الهداية أحدهما:

* القرآن ﴿نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾

* والثاني: نبيه – صلى الله عليه وسلم –﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وفي آية المائدة ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّـهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّـهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

فيتحصل أن القرآن هو سبيل الهداية وذلكم أن الله –سبحانه وتعالى– ضمنه ما أراده من عباده من فعل أوامره واجتناب نواهيه وأخباره التي هي بمعنى الأوامر والنواهي أو بمعنى العبر المسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم – حيال تكذيب قومه إياه من قصص النبيين مع أممهم وكذلك نبيه – صلى الله عليه وسلم – هو سبيل الهداية لأنه يبلغ عن الله –سبحانه وتعالى– شرعه، وشرعه الذي جاء به هو وحيه سبحانه وتعالى إليه وهو قسمان:

شرع تضمنه القرآن

وشرع أوحاه الله إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بسنته قال تعالى﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ وقال تعالى﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وقال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّـهَ كَثِيرًا﴾ وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)).

فيتحصل من هذا أن كل ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– سواء كان في القرآن أو في السنة أو في كليهما كله شرع يجب قبوله، والتسليم له، وتصديقه، وعدم معارضته بالرأي المحض، والقياس الفاسد، وبهذا مشى أهل السنة والجماعة بقبول السنة الصحيحة كما يقبلون القرآن بلا مماراة ولا شك سواءً كان ما في السنة بيانًا لما في القرآن أو تقييدًا له أو تخصيص عمومه أو نسخًا،

وهذا هو التحقيق نعم، وسواء كان ما جاءت به السنة موافقًا للقرآن منصوصًا عليه بالقرآن أو زيادة على ما في القرآن كله مقبول فمما توافقت فيه السنة والقرآن جلد الزاني البكر مئة وزيد في السنة تغريبه عامًا نعم صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – نعم، كذلك الجمع بين الأختين هذا توافق عليه القرآن والسنة توافق على تحريمه والنهي عن القرآن والسنة، والجمع بين المرأة وخالتها والمرأة وعمتها في عصمة واحدة في نكاح واحد يعني في عصمة واحدة هذا جاءت بالنهي عنه السنة الصحيحة والمقصود أنه من أصول أهل السنة أن السنة وحي الله إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيجب حيالها ما يجب حيال القرآن من التصديق والقبول وسرعة الاستجابة والانقياد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ كما اتفقت الآيات السابقة على أنه ليس أحد من البشر لذاته هو القدوة الحسنة محض، بل ذلكم في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد سد الله كل طريق يزعم الناس أنها توصل إلى مرضاته سوى طريق واحدة وهي طريق محمد – صلى الله عليه وسلم – وما نال أحدٌ من البشر عند الناس المنزلة كسب بها في نفوسهم التوقير والإجلال والإمامة في الدين إلا لاقتدائه برسول الله – صلى الله عليه وسلم – الاقتداء الصحيح وبهذا يعلم أنه لا يجوز أن ينصب أحدًا مقياسًا للدعوة، فيُشكر من وافقه ويشنع على من خالفه، فليس أحد بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – له هذه المنزلة، فالعصمة في كتاب ربنا وسنة نبينا – صلى الله عليه وسلم – وإجماع الأئمة في عصر من العصور بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أمر شرعي هذا الإجماع، إجماع الأئمة إجماع العلماء المجتهدين بعد

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في عصر من العصور على أمر شرعي هذا الإجماع هو حجة بنفسه لأنه يعتمد على نص وقد يكون هذا النص معلومًا وقد يكون غير معلوم.

وبهذا القدر من الحديث معكم نكتفي إن شاء الله تعالى ونتابع الحديث في هذه الجملة ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ في ذكر ما لم نذكره الآن هنا من أوصاف القرآن الكريم وما أودعه الله – سبحانه وتعالى – من جميل الصفات والخصال المستقر عند أهل السنة أنها من أصول عقيدتهم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين استودعكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلّة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا